

احتجاج عن الملة المارونية

المؤلف: البطريرك إسطفان الدويهي

المرجع: الجميل، الخوري ناصر، البطريرك إسطفان الدويهي: حياته ومؤلفاته، بيروت، 1991، ص 57-60

يهدف هذا الكتاب إلى تبرير كرامة الشعب الماروني ويعارض فيه المؤلف المآخذ والتشكيكات التي عبّر عنها أناس محترمون من الماضي القريب. لقد وضعه الدويهي ليردّ به على التهم التي أتى بها أولاً جوان باتشيطا أليانو "ELIANO" اليسوعي ومن بعده توما الكرمليطي المرتبط به. أوفد البابا غريغوريوس الثالث عشر الأب أليانو سنة 1578 ليزور الموارد ويفحص عن معتقدتهم. فدقّق في مضمون كتبهم لمعرفة مدى أوثوقدكسيّتهم. وجمع عدداً كبيراً من الكراريس وعلّق على الأخطاء الموجودة فيها، وحملها معه إلى روما سنة 1580. وجملته الكتب التي فحصها اثنان وعشرون كتاباً. على أن أليانو لم ينشر كراريسه تلك بل أودعها الخزائن المقفلة إلى أن قام، بعد ثلاث وثلاثين سنة، الأب توما الكرمليطي فطبعها باللاتينية في كتابه "في خلاص جميع الأمم". "De procuranda salute omnium gentium" "وقد يكون الدويهي قد أطلع على ما كتبه أليانو من خلال ما نقله غسبار القبرسي قبل أن يترجمها الكرمليطي إلى اللاتينية، كما ذكر فيليب السمراني في "المنارة"، 1984، ص 188-189.

قسم الدويهي "كتاب الاحتجاج" إلى اثني عشر احتجاجاً ضدّ اثنتي عشر مقالة جاءت في كتاب توما الكرمليطي: الخلق، المسيح والروح القدس، الدينونة، الأسرار السبعة، الكتب المقدسة، وعادات طقسية مختلفة. وكلّ احتجاج يتناول الردّ على عدّة تهم فُذِفَ بها الموارد. وحجج هذه الردود يأخذها الدويهي عادة من الكتب نفسها التي اتخذت منها التهم مبيّناً فساد ما ادّعه أليانو أولاً والكرمليطي من بعده. وقد تمكّن من ذلك بسهولة، لأنّ أليانو الذي كلّف بالتدقيق في الكتب المارونية، حمل معه كتباً من تأليف النساطرة والأقباط واليعاقبة؛ هذه الكتب التي لا يمكن اعتبارها مطلقاً من كتب الموارد الكنسية. وبالتالي، فإنّ معرفة الأب أليانو باللغتين السريانية والعربية كانت محدودة جداً، بحيث لم تكن كافية لتمكّنه من فهم النصوص السريانية والحكم على مضمونها. وقد ردّ الدويهي على كلّ هذه المغالطات، بتكرار ما جاء في الكتابين الأولين، دون أن يتحرّر هو أيضاً من بعض الأخطاء التاريخية. بالإضافة إلى ذلك، فقد نشر عدداً كبيراً من النصوص الليتورجية التي تعبّر عن التعاليم الكاثوليكية، ومن بينها مقاطع من مواعظ الآباء السريان (أفرام، إسحق، يعقوب السروجي) التي نشرها مع ترجمتها.

ومن لائحة الكتب الاثنتين والعشرين التي جمعها الأب أليانو والتي تمكّن المؤلف من العودة إليها، توجد إلى جانب المؤلفات الليتورجية ومجموعات المواعظ، الكتب التالية: - "الطب الروحاني" لميخائيل أسقف أتريب ومليج، والمجموع الصفوي (Nomocanon) للصفّي ابن العسال، وتفسير الأناجيل الأربعة لأبي الفرج عبدالله ابن الطيّب و"فردوس النصرانية" ويسمّيه تروّص (Diatessaron Tatians)، وكتاب قوانين الموارد المعروف "بكتاب الهدى" وتعاليم الحياة النسكية وأنظمتها لباسيليوس، وكتاب مجهول صاحبه عنوانه "بستان الحياة" يتضمّن أسئلة وأجوبة عن الكتاب المقدّس "مأخوذة عن كتب مختلفة"، "حوار بين المعلم والتلاميذ" الذي ردّ عليه جبرائيل ابن القلاعي (في الجزء الأول، "ناموس الكنيسة المقدّسة")، "وقوانين الرسل والمجامع، وكتاب حياة القديسين" المعروف بالسكنسار. استخدم الدويهي نسخة من كراريس الأب أليانو كان نقلها عنه غسبار القبرسي تلميذ المدرسة المارونية كما قلنا. وهذه النسخة وجدها الدويهي في قبرس يوم كان أسقفاً عليها (1668-1670).

أ- المخطوطات

1. فاتيكان سرياني 396 (كرشوني) عام 1689، 256 ورقة.
2. حلب، 459، الاحتجاج عن الملة المارونية ضدّ توما الكرمليطي.
3. بكركي 43 (سابقاً) 106 (حالياً) 570 صفحة كرشوني.
4. عين ورقة 62 (كرشوني). حالياً موجود بمكتبة المرسلين اللبنانيين، بدون رقم. راجع "المشرق" 25 (1927) 700.
5. دير مار شليطاً - مقبس، راجع "المشرق" 6 (1903) 593-594.
6. بيروت، المكتبة الشرقية، 783 (القرن الثامن عشر)؛ 784 (عام 1870) يشمل خمسة كتب من "الدفاع عن الأمة المارونية" لإسطفان الدويهي؛ ويطابق الكتاب الثالث كتاب "الاحتجاج" إنّما بنصّ ركيك.
7. مار عبدا هرهيا 29 عدد 5: نُسخ سنة 1840 على يد تلاميذ مار عبدا هرهيا.
8. غوسطا، مكتبة المرسلين اللبنانيين، 13. ومنه نسخة ثانية وثالثة. والثالثة تمّ نسخها بيد القسّ يوحنا نطين الدرعوني في 5 آذار 1886، عن مخطوط فاتيكان سرياني 397 الذي طبعه الأبائي فهد.

ب- المراجع

1. السمعاني، المكتبة الشرقية، 558-559، يذكر خمس مواعظ لمار إسحق، تتضمّن اعترافاً واضحاً بطبيعتي المسيح.
2. A.RABBATH, Documents inédits, I, Leipzig, 1905, p.630-643.
3. مقتطفات أخذها أ. رباط من رشيد الشرتوني وتنتشر لأول مرة.
4. الأب فيليب السمراني، "كتاب الاحتجاج عن الملة المارونية"، في "المنارة" 8 (1937) 81-92، 198-212، 309-301، 558-568، 651-664، 735-757، 11 (1940) 242-290-319-373.
5. ست مقالات منشورة استناداً إلى مخطوط بكركي 106 و 107 ومخطوط فاتيكان سرياني 396. (ثمّ طبعه في كتاب على حدة)